مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ ـ ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

تعدد الروايات عند الخليل وتباينها في عدد الحروف العربية ومخارجها، وأثرها في الدرس الصوتي

أ.م.د شذى جاسم هادي
قسم الاعلام، كلية الاعلام، الجامعة العراقية، بغداد، العراق
shathajasm@aliraqia.edu.iq

المستخلص

اللغة العربية تتسم بخزينها التراثي والمعرفي الهائل، وتتميز بامتلاكها ذخيرة لغوية ضخمة، فتراثنا اللغوي استمد عطاءه من تشابك نبعين حضاريين تمثلا بالتراث العربي الأصيل، والنهضة الفكرية التي تلت نزول القرآن الكريم وواكبت انتشار الإسلام، وطالما استمد الباحثون من تراثنا اللغوي، فالمحدثون درسوا آراء القدماء وحللوها، وربما عرضوها على النظريات الحديثة، ومنهم علماء الصوت الذين تناولوا الدرس الصوتي عند علماء العربية وقارنوا بين آرائهم، ثم قابلوا بينها وبين آراء المحدثين، وقد حظيت مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) باهتمام بالغ من الدارسين؛ لما تضمنت من مسائل مهمة في الدرس الصوتي، لكن هناك كتباً أخرى نقلت روايات عن الخليل تضمنت آراءه الصوتية لم نجدها حفلت بتلك العناية التي حظيت بها رواية الليث في مقدمة العين، مع أنها لا تخلو من الاختلاف؛ لذا جاء هذا البحث ليعرض بقية الروايات والخلاف بينها، متناولاً اياها بشيء من الدراسة والتحليل.

الكلمات المفتاحية: حروف العربية، الخليل بن أحمد، الدرس الصوتي، مقدمة كتاب العين، اللغة العربية، مخارج الأصوات.

ABSTRACT

The Arabic language is characterized by its vast heritage and knowledge, and it is distinguished by its possession of a huge linguistic reserve. Our linguistic heritage derived its gifts from the intertwining of two cultural sources represented by the authentic Arab heritage, and the intellectual renaissance that followed the revelation of the Holy Quran and accompanied the spread of Islam. Researchers have always drawn from our linguistic heritage. Modern scholars studied and analyzed the opinions of the ancients, and perhaps presented them to modern theories. Among them were phoneticians who addressed the phonetic study of Arabic scholars and compared their opinions, then contrasted them with the opinions of modern scholars. The introduction to the book Al-Ain by Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi (d. 170 AH) received great attention from scholars because of the important issues it included in the phonetic study. However, there are other books that transmitted narrations from Al-Khalil that included his phonetic opinions, but we did not find them to be as attentive to the narration of Al-Layth in the introduction to Al-Ain, although they are not without differences. Therefore, this research came to present the remaining narrations and the differences between them, addressing them with some study and analysis.

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ ـ ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

Keywords: Arabic letters, Al-Khalil bin Ahmed, phonetic lesson, introduction to the book Al-Ain, the Arabic language, sounds.

المقدمة:

لقد اتسمت لغتنا العربية بخزينها التراثي والمعرفي الهائل، وامتازت بامتلاكها ذخيرة لغوية ضخمة، فتراثنا اللغوي استمد عطاءه من تشابك نبعين حضاريين تمثل اولهما بالتراث العربي الأصيل، وثانيهما بالنهضة الفكرية التي تلت نزول القرآن الكريم وواكبت انتشار الإسلام، وطالما استمد الباحثون من تراثنا اللغوي، فالمحدثون درسوا آراء القدماء وحللوها، وربما عرضوها على النظريات الحديثة، ومنهم علماء الصوت الذين تناولوا الدرس الصوتي عند علماء العربية وقارنوا بين آرائهم، ثم قابلوا بينها وبين آراء المحدثين، وقد حظيت مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) باهتمام بالغ من الدارسين؛ لما تضمنت من مسائل مهمة في الدرس الصوتي، لكن هناك كتباً أخرى نقلت روايات عن الخليل تضمنت آراءه الصوتية لم نجدها حفلت بتلك العناية التي حظيت بها رواية الليث في مقدمة العين، مع أنها لا تخلو من الاختلاف؛ لذا جاء هذا البحث ليعرض بقية الروايات والخلاف بينها، متناولة اياها بشيء من الدراسة والتحليل.

تضمنت خطة البحث في ثلاثة فصول، تناول الفصل الاول عدد الحروف العربية عند الخليل، فيما شمل الفصل الثاني على عدد الحروف عند علماء المسلمين، بينما تناول الفصل الثالث عدد مخارج الحروف عند الخليل، فيما اختتم البحث بالخاتمة واهم الاستنتاجات.

منهجية البحث:

تمثلت مشكلة البحث في عدد الحروف عند الخليل وهذا حصل على وفق النهج اللغوي الذي يسير عليه العالم في ثلاثة اتجاهات الاول لائمة اللغة العربية وعلى رأسهم الخليل وتلميذه سيبويه، والثاني لاصحاب المعجمات كأبن فارس، والثالث النحاة كالفراء والمبرد، فضلا عن تعدد الرويات عند الخليل، اذ بلغت خمس رويات والتي فيها اختلاف عما رواه الليث بن المظفر في مقدمة كتاب العين.

الفصل الاول : عدد حروف العربية عند الخليل

قبل الكلام في المسألة تجدر الإشارة إلى أن الخليل بن أحمد هو أول من فرق بين مفهوم الحرف ومفهوم الصوت اللغوي أو صوت الحرف، فقد روى سيبويه في باب(إرادة اللفظ بالحرف الواحد)، قال: "قال الخليل يوماً وسأل أصحابه: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في (لك)، والكاف التي في (مالك)، والباء التي في ضَرَبَ)؟ فقيل له: نقول باء، كاف. فقال: إنما جئتم

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ ـ ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال: أقول" كه وبه"[١]. وهناك فقرة أخرى لم يتضح إن كانت من كلام الخليل تكملة للرواية، –وهو الأرجح – أم لسيبويه نفسه، قال: فأما قاف وزاي وباء وواو، فإنما حكيت بها الحروف، ولم ترد أن تلفظ بالحروف كما حكيت بـــ (غاق) صوت الغراب، وبـــ (قب): وقع السيف، وب (طيخ) الضحك، وبنيت كل واحد بناء الأسماء، وقد ثقل بعضهم وضم ولم يسلم الصوت كما سمعه، فكذلك حين حكيت الحروف حكيتها ببناء بنيته للأسماء، ولم تسلم الحروف كما لم تسلم الصوت، فهذا سبيل هذا الباب[٢]. علماً أن المحدثين يستعملون مصطلح الحرف ويطلقونه على الرسم الكتابي للصوت اللغوي، مع أن القدماء كانوا يطلقون على الجميع مصطلح (الحرف).

وحصل خلاف بين علماء العربية في عدد حروف العربية فمنهم من عدها ٢٩ حرفاً وهو المشهور، وعند غيرهم ٢٨ حرفاً. وأغلب الباحثين يؤيد القول الأول، ولا يعطي أهمية للقول الثاني[٣] . والسبب الرئيس في هذا الخلاف هو عد الهمزة والألف حرفاً واحداً، أو احتساب كل واحد منهما حرفاً مستقلاً[٤].

وممن قال بالأول أي: (٢٩) حرفاً الخليل وسيبويه، ومن سار على نهجهما، وممن قال بالثاني أي(٢٨) حرفا الفراء، والمبرد في المقتضب، وغيرهما. وفي رواية عن الخليل عدها ثمانية وعشرين حرفاً، عد الهمزة والألف حرفاً واحداً، وذلك أن الألف إذا تحركت كانت همزة، قالوا: وذلك أن الهمزة ما هي إلا ألف متحركة[٥].

وجد الباحث أن الخلاف بينهم كان بسبب اختلاف المنهج والمسار العلمي الذي يسلكه عالم اللغة، أما الخليل فقد كانت نظرته نظرة لغوية شاملة فهو من أئمة العربية، ولديه إحاطة بكل علومها ومعارفها. فقد روى الليث في مقدمة (العين) قال: قال الخليل: العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون حرفا صحاحاً، لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة[٦]. وهي الرواية نفسها التي ذكرها الأزهري (ت ٣٧٠هـــ)، عن الليث في معجم (تهذيب

[١] أبي بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـــ)، "الكتاب لسيبويه" ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار التاريخ، بيروت.٣ / ٢٤٨

[٢] أبي بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـــ)، "الكتاب لسيبويه"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٨٨م، ٢ / ٢٥٠

[٣] أحمد قدور، "أصوات اللغة عند سيبويه"، ٣٣

[٤] ينظر : احمد بن عبد النور المالقي، ت٧٠٢ه، "رصف المباني في شرح حروف المعاني"، تحقيق: احمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٠٣ و ١٠٤،

وعبد الهادي الفضلي، "الموجز في علم التجويد"، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩، ٣٥ و ٣٦.

[٥] سراج الدين الحموي، اللباب في علوم الكتاب، ١٦ / ١٦٥.

[٦] الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت ١٧٥هـــ)، كتاب العين تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي تصحيح أسعد الطيب، انتشارات أسوة (منظمة الأوقاف والأمور الخيرية، ط، طهران، ١٤٣٥هـــ، ١/٥٧.

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ - ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

اللغة)[١]، وهناك رواية أخرى عن الليث ورواية النضر ابن شميل عن الخليل أن عدد الحروف ثمانية وعشرون حرفاً.

إذ نقل ابو حيان الأندلسي في تذكرة النحاة عن كتاب للعالم النحوي أبي أسامة جنادة بن محمد اللغوي (ت٣٩٩ هـ)[٢]، وهو كتاب مفقود لم يصل إلينا[٣]، بإسناده عن الليث بن المظفر، عن الخليل، أنّه قال: "الحروف العربية: ثمانية وعشرون أصلاً، يتفرع عنها سبعة فصلاً، فمن هذه الأصول خمسة وعشرون حرفا صحاح، يجمعها لقيان المصمتة والمذلقة[٤].

وهي عند ابن السراج (ت٣١١هـ) تسعة وعشرون حرفا[٥]، وكذا عند الزجاجي (ت ٣٤٠هـ)، أولها : الهمزة والألف والهاء ... ألخ[٦]. وممن ذهب أيضاً إلى أنها تسعة وعشرون حرفا، أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ)، قال: لا طريق إلى معرفة تقارب الحروف إلا بعد معرفتها ومعرفة مخارجها وأقسامها، وهي تسعة وعشرون حرفا، وهي معروفة، وقد تبلغ خمسة وثلاثين حرفا بحروف مستحسنة[٧].

أما من ذهب إلى أنها ثمانية وعشرون حرفاً، فأولهم الفراء (ت (٢٠٧هـ) من علماء الكوفة[٨]. الكوفة[٨]. والمبرد (ت٢٨٥هـ)، من علماء البصرة، قال: " اعلم أن حروف العربية خمسة وثلاثون

[١] أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت (٣٧٠هـ)، معجم تهذيب اللغة (مرتب) ترتيباً الفبائيا وفق الحروف الأصول، تحقيق: د. رياض زكي قاسم دار المعرفة، ط١، بيروت ٢٠٠١م، ١/٥٠٤٨

[٢] أبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي (ت٣٩٩ هـ / ١٠٠٨م)، "الزهكال" ، كان لغويا نحويا، عظيم القدر شائع الذكر، قتله حاكم مصر ودفن في القاهرة، ينظر: المعجم المفصل في اللغويين العرب، ١/ ١٥٧ و ١٥٨.

[٣] ذكر الدكتور عفيف عبد الرحمن في مقالة عن كتاب(تذكرة النحاة) لأبي حيان الأندلسي، نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية دمشق العدد ٥٣ ٦٩ في عداد الكتب المفقودة التي نقل عنها أبو حيان ولم تصل إلينا في هذا العصر: كتاب (الزهكال) للعالم اللغوي أبي أسامة جنادة بن محمد الهروي (ت٣٩٩)، واسم الكتاب كاملاً: والزهكال في حصر الحروف والمصادر والأفعال)، أما معنى كلمة (الزهكال) فلم أهتد فيها إلى معنى، فلعل الكلمة منحوتة أو دخيلة وربما حصل فيها تصحيف؛ لذا لم أهتد لمكانها في كتب المعجمات.

[٤] أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تذكرة النحاة، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، ٢٥

[٥] أبي بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي (ت ٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت ١٩٨٥م.

[٦] أبي اسحق الزجاجي، الجمل في النحو، الزجاجي تحقيق: علي توفيق الحمد، ٤٠٩، والجمل لأبي اسحق الزجاجي، تحقيق: محمد بن أبي شنب ٣١١

[٧] أبي البركات عبد الرحمن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، أسرار العربية تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ٢ ، بيروت، ٢٠١٠م، ٢٠٧.

[٨] ينظر : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، معاني القرآن، تحقيق، أحمد يوسف النجاتي - محمد علي النجار [ت ١٣٨٥ هـ]- عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى، ١/ ٣٦٨

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ ـ ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

حرفاً، منها ثمانية وعشرون لها صور[١]. فقد ترك عد الهمزة من الحروف بزعم أن لا رسم لها ثابت كبقية حروف العربية.

علما بأن ابن جني ذكر أن الذي خالفهم في عدد الحروف، المبرد فقط اذ أسقط الألف من أول الحروف، ويرى أن هذه الألف التي أسقطها المبرد هي الهمزة المحققة المتحركة[٢]، وأجاب بأن رأي أبي العباس المبرد غير مرضٍ عنده، فليس بدليل كاف، أن تكون صورة الهمزة والألف واحدة لتعدهما حرفاً واحداً، وذلك لاختلافهما في المخرج، أما الدليل القاطع كما يقول الدكتور أحمد قدور، فهو أن إثبات الحروف وجب لأنها موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط، والهمزة موجودة في اللفظ، ولا يخرجها من هذا أنها تنقلب في بعض أحوالها، بل على العكس، إذ يعد انقلابها دليلا على أنها حرف كما هو الشأن في حروف أخرى غيرها[٣].

وأورد ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) قول المبرد قال: "فحروف المعجم الأصول تسعة وعشرون، أولها الألف وآخرها الياء على المشهور من ترتيب حروف المعجم، لا خلاف في ذلك بين أحد من العلماء، إلا أبا العباس المبرد، فإنها عنده ثمانية وعشرون، أولها الباء وآخرها الياء، ويخرج الهمزة من حروف المعجم ويستدل على ذلك بأنها لا تثبت على صورة واحدة، فكأنها عنده من قبيل الضبط، إذ لو كانت حرفاً من حروف المعجم لكان لها شكل واحد، لا تنتقل عنه كسائر حروف المعجم، وهذا الذي ذهب إليه أبو العباس فاسد؛ لأن الهمزة لو لم تكن حرفاً لكان (أخذ) و (أكل) وأمثالهما على حرفين خاصة، لأن الهمزة ليست عنده حرفاً، وذلك باطل؛ لأنه أقل أصول الكلمة ثلاثة أحرف فاء وعين ولام"[٤].

١- أما ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، فقد قال: فأصل الحروف الثمانية والعشرون التي منها تأليف الكلام كله[٥]. فابن فارس ترك الألف في عد حروف العربية على جري أصحاب المعجمات، وعد الهمزة حرفا، قال: فأول الحروف الهمزة، والعرب تنفرد بها في عرض الكلام، مثل: قرأ، ولا يكون في شيء من اللغات إلا ابتداء[٦]. أما ابن منظور (ت ٧٧٠ هـ) صاحب معجم لسان العرب، فيقول:

---

[١] ابي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥ه)،"المقتضب"، ١٩٢١

[٢] ينظر: ابي الفتح عثمان بن جني، ت٣٩٢ه، "سر صناعة الاعراب"، تحقيق حسن هنداوي، ٥٥، وبحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها، ٤١.

[٣] ابي الفتح عثمان بن جني، ت٣٩٢ه، "سر صناعة الاعراب"، تحقيق حسن هنداوي، ٦٠، وما بعدها، وينظر : بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها، ٤٢.

[٤] ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، "الممتع الكبير في التصريف"، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون طه، بيروت ٢٠١٠م، ٤٢١.

[٥] ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، تحقيق عمر فاروق فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ٦٣.

[٦] نفسه

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ ـ ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

والحروف ثَمَانِيَة وَعِشْرُونَ حرفاً مع الواو والألف والياء، وتتم بِالْهَمْزَةِ تِسْعَة وعشرين حرفاً. والهمزة كالحرف الصحيح، غير أن لها حالات من التليين والحذف والابدال والتحقيق، تعتل فألحقت بالأحرف المعتلة الجوف، وليست من الجوف انما هي حلقية في أقصى الفم[١].

والخلاصة أن الخلاف في عد حروف العربية إلى ما حصل على وفق النهج اللغوي الذي يسير عليه العالم، وهي ثلاثة:

الأول: لأئمة اللغة والعربية وعلى رأسهم الخليل وتلميذه سيبويه، فقد نظروا الى اللغة نظرة علمية شاملة لذا ذهبوا إلى أن عدد حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً.

الثاني: لأصحاب المعجمات كابن فارس، اذ ذهبوا إلى أنها ثمانية وعشرون حرفاً، وذلك أن الألف لا يكون في أول الكلام، ولا تقع في جذور المفردات فلا يقع في ترتيب حروف المعجم[٢].

الثالث: اتجاه النحاة كالفراء والمبرد، فأما القّراء فقد عد الهمزة والألف حرفاً واحداً، وأما المبرد فقد عد الألف وترك الهمزة وكانت حجته أن لا رسم لها. ويجمع القولين ما ذكره ابن دريد (ت٣٢١هـ) في مقدمة كتابه (جمهرة اللغة) قال: "أعلم أن الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات تسعة وعشرون حرفاً، مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفاً، ثم قال: "وأما الحرف التاسع والعشرون فجرس بلا صرف يريد أنه ساكن لا يتصرف في الإعراب، وهو الألف الساكنة، وذلك أنه لا يكون إلا ساكنا أبداً، فمن أجل ذلك لم يبدأوا به، فإذا احتجت أن تحركه تحوله إلى لفظ أحد الحروف المعتلات الياء والواو، والهمزة، فمن ثم لم يُعد في الحروف المعجمة حين وجدوه راجعاً إلى الثمانية والعشرين، فإن اللسان ممتنع من أن يبتدئ بساكن أو يقف على متحرك، فإذا كانت كلمة أولها ألف صارت همزة لحركتها وانتقالها إلى حال الهمزة، فلذلك قالوا في الألف ما قالوا[٣].

الفصل الثاني: عدد الحروف عند علماء المسلمين

ليس أهل اللغة وحدهم من بحث في عدد الحروف، بل كذلك الفقهاء، ففي باب الديات، عند بحث دية الجناية التي تسبب عاهة في اللسان أو عدم القدرة على النطق، جرى ذكر هذا المطلب، وفي رواية عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام (ت ١٤٨هـ)،

[١] ابن منظور،" لسان العرب" ، دار المعارف، القاهرة:١/ ١٧

[٢] وذلك لأن الألف لا تكون من الحروف الأصول لجذر كلمة في اللغة العربية، فإذا أردنا البحث عن كلمة مثل: باب دعا، تاب رمى في المعجم العربي، نجدها في المواد الجذرية بوب دعو، نيب رمي فالألف في الكلمات السابقة لا يمكنها أن تشكل جذرا من جذور المعجم العربي ينظر: أبحاث صواتية وصرافية في اللغة العربية، د. محمد الوادي ٢١ و ٢٢.

[٣] أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي، (ت٣٢١)،" جمهرة اللغة"، دار العلم للملايين، بيروت، المقدمة، ١/ ٤٥. (٢٠) الكافي، الشيخ الكليني (ت (٣٢٩)، ٨/١٨٢٤.

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ ـ ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

أنه قال: إذا ضرب الرجل على رأسه فثقل لسانه، عرضت عليه حروف المعجم ويقرأ، ثم قسمت الدية على حروف المعجم، فما لم يفصح به الكلام كانت الدية بالقياس من ذلك. وقريب منها رواية سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام[١]. وروى الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ)، عن الإمام الصادق أيضاً، في رجل ضرب رجلاً بعصا على رأسه فثقل لسانه، فقال عليه السلام: "يعرض عليه حروف المعجم فما أفصح منه به، وما لم يفصح به كان عليه الدية، وهي تسعة وعشرون حرفاً[٢].

وفي كتاب فقه الإمام الرضا عليه السلام(ت٢٠١هـ)، أنه سئل عن رجل طرف لغلام فقطع بعض لسانه، فأفصح ببعض الكلام ولم يفصح ببعض، فقال عليه السلام: يقرأ حروف المعجم، فما أفصح به طرح من الدية، وما لم يفصح به ألزم من الدية، فقلت (أي : الراوي : كيف ذلك؟ قال: بحساب الجمل، (...) وعدد حروفه ثمانية وعشرون حرفاً، فيقسم لكل حرف جزءًا من الدية الكاملة، ثم يحط من ذلك ما بين عنه ويلزم الباقي[٣].

وروى الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام (ت ٢٠١ هـ)، أنّه قال: أول فعل الله الذي هو نور السماوات والأرض: الحروف هي المفعول بذلك الفعل وهي الحروف التي عليها مدار الكلام والعبادات كلها من الله عز وجل علمها خلقه وهي: ثلاثة وثلاثون حرفا، فمنها ثمانية وعشرون حرفا تدل على لغات العربية، ومن الثمانية والعشرين اثنان وعشرون حرفا تدل على لغات السريانية والعبرانية[٤]، ومنها خمسة أحرف متحرفة في سائر اللغات، من العجم والأقاليم واللغات كلها وهي خمسة أحرف تحرفت من الثمانية والعشرين حرفاً من اللغات فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفاً، فأما الخمسة المختلفة فهي: (ف، ت، ج، ح، خ)، ثم جعل الحروف بعد احصائها وإحكام عدتها فعلا منه كقوله عز وجل : (كن فيكون)، وكن منه صنع وما يكون به المصنوع فالخلق الأول من الله عز وجل الابداع لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حس والخلق الثاني الحروف لا وزن لها ولا لون وهي مسموعة موصوفة غير منظور إليها والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوسا ملموسا ذا ذوق منظورا إليه والله تبارك وتعالى سابق للإبداع لأنه ليس قبله عز وجل شيء ولا كان معه شيء والإبداع سابق للحروف والحروف لا تدل على غير نفسها، قال المأمون وكيف لا تدل على غير أنفسها ؟ قال الرضا عليه السلام لان الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئا لغير معنى ابدا فإذا ألف منها أحرفا أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل لم

[١] محمد بن يعقوب الكليني، "الكافي"، الجزء الاول، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ت٣٢٩ه،٨/ ١٨٢٤.

[٢] محمد بن يعقوب الكليني، "الكافي"، الجزء الاول، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ت٣٢٩ه، ٨ / ١٨٢٣.

[٣] الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام والمشتهر بـــ(فقه الرضا)، تحقيق مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام، الطبعة الاولى، شوال ١٤٠٦ ه. ق، ٢١٨.

[٤] وهي الأصوات المنحدرة من اللغات السامية وهي حروف (أبجد) زادت عليها العرب ستة أحرف تعرف بالحروف الروادف وهي (ت، خ ذ ض ظ ع). ينظر بحوث ودراسات في اللغة والنحو، د. حميد الفتلي، ١٥٩ و ١٦٠.

يؤلفها بغير معنى ولم يكن إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شئ قيل: فكيف لنا بمعرفة ذلك؟ قال الرضا عليه السلام أما المعرفة فوجه ذلك وبيانه انك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها ذكرتها فردا فقلت: ا ب ت ث ج ح خ حتى تأتى على آخرها فلم تجد لها معنى غير أنفسها وإذا ألفتها وجمعت منها أحرفا وجعلتها اسما وصفه لمعنى ما طلبت ووجه ما عنيت كانت دليله على معانيها داعية إلى الموصوف بها[١]. والمشهور عند فقهاء المسلمين أنها ثمانية وعشرون حرفا، عند فقهاء الشافعية وغيرهم. فقد ذكر صاحب كتاب أسنى المطالب في الفقه الشافعي: الدية على ما كان يحسن من الحروف، لأن الكلام يتركب منها، وهي ثمانية وعشرون حرفاً في لغة العرب)[٢].

الفصل الثالث: عدد مخارج الحروف عند الخليل

سلك علماء اللغة من المسلمين العرب المذهب التجريبي في دراستهم الأصوات اللغوية وتحديد مخارجها، وكان الخليل الرائد في هذا المذهب؛ إذ اعتمد الملاحظة الذاتية في تحديد مخارج الحروف وصفات أصواتها. ومن المؤكد أن يحصل خلاف بينهم ولو في حدود ضيقة، مع أن ما توصلوا إليه في هذا المجال تطابق في أكثر الأحيان مع ما توصل إليه المحدثون من نتائج، أو متقاربة إلى حد كبير، لأنهم كانوا يتمتعون بحس مرهف ودقة ملاحظة.

ويّعد الخليل من أبرز علماء اللغة الذين كانت لهم الريادة في الدرس الصوتي فقد أولى هذا العلم اهتماماً كبيراً، حتى أنه رتب معجمه(كتاب العين) ترتيباً صوتياً مستنداً إلى مخارج الحروف والمتعارف بين دارسي اللغة أن عدد مخارج الأصوات عند الخليل ثمانية مخارج للحروف الصحاح وترك حروف الجوف لأنها هوائية فيكون العدد تسعة مخارج. والحقيقة أن الخليل كان بصدد بيان ألقاب الحروف في مقدمة العين، وليس عدد المخارج – فلا يبعد أن ما ذكره سيبويه من مخارج أخذها من الخليل نفسه، لأن الكتاب كما هو معروف صنف في علم الخليل، وما يرجح هذا الرأي رواية أخرى عن الخليل رحمه الله – نقلها أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، في كتاب(تذكرة النحاة)، عن كتاب لأبي أسامة جنادة بن محمد النحوي اللغوي الهروي (ت٣٩٩هـ) في كتاب (الزهكال)[٣]، وهذا الكتاب مفقود لم يصل عصرنا، ذكر فيه رواية عن الليث، وأخرى عن النظر بن شميل المازني البصري (ت٢٠٣ هـ)، وثالثة عن الأخفش يظهر فيها عدد المخارج قريبة من الذي ذكره سيبويه في كتابه[٤] حتى إن ابن الجزري ذكر أن عدد المخارج عند الخليل (سبعة عشر) مخرجاً، يبدو أنه اعتمد

[١] الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمّيعون أخبار الرضا عليه السلام، ،: ٢/ ١٥٤ .

[٢] امام زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب في الفقه الشافعي، دار الكتاب الإسلامي ، ٤ / ٦٢.

[٣] لم أهتد إلى معناه؛ لعله اسم منحوت أو معرب، وربما حصل فيه تصحيف.

[٤] أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، "تذكرة النحاة"، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، ٢٥-٢٩.

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ ـ ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

هذه الرواية دون سواها[١]. وهناك رواية لليث نقلها الأزهري في مقدمة التهذيب قريبة من الرواية التي تضمنتها مقدمة كتاب العين.

فقد وردت روايات عن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، فيها اختلاف عما رواه الليث بن المظفر في مقدمة كتاب العين، أقدم معجم عربي، رتب الخليل أبوابه على مخارج الأصوات. فالمشهور أنها ثمانية مخارج وتكون مع حروف العلة التي تصدر من الجوف، تسعة مخارج، لكن في الحقيقة أن ما ذكره الليث عن الخليل في مقدمة كتاب العين كان ضمن الكلام في ألقاب الحروف وليس مخارجها، وإن كان الخليل قد اشتق اللقب من اسم المخرج، فهناك روايات أخرى في غير كتاب العين فيها تفصيل أكثر لمخارج الحروف، منها ما ذكر في التهذيب للأزهري (ت ٣٧٠هـ)، عن الليث وعن غيره، ومنها وهذا هو المهم ما نقله أبو حيان الغرناطي الأندلسي في كتابه تذكرة النحاة عن كتاب لأبي أسامة جنادة بن محمد الهروي(ت ٣٩٩هـ)، وهو إمام في اللغة والنحو، له كتاب الزهكال غير أنه للأسف مفقود لم يصل عصرنا، فقد أورد رواية لليث مغايرة عن روايته في مقدمة كتاب العين، وكذلك نقل روايتين أخريين أحداهما للنضر بن شميل من أصحاب الخليل، والثانية للأخفش، والنضر أقدم صحبة للخليل من الأخفش، وكان يعد من أصحابه المبرزين مع سيبويه وآخرين، فيبدو أن الأخفش لازم الخليل في مرحلة متأخرة من حياته. وهذا يبعث الباحثين إلى التحري عن الرواية الأقدم، فيميزها عن الرواية الأحدث ليأخذ بها.

الرواية الأولى: رواية الليث في مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد رحمه الله، اخترنا منها هذه النصوص:

- النص الأول : قال الليث : ((وقلب الخليل ا، ب، ت، ث، فوضعها على قدر مخرجها من الحلق «١» وهذا تأليفه ع ح هـ، خ، غ، – ق ك – ج، ش، ض، – ص، .س، ز – ط، د، ظ، ث، ذ ر ل ن ف ب م و، ا، ي همزة
- النص الثاني: قال الخليل: إعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهي: ر ل ن، ف ب م، وإنما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الخلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذلقية ر ل ن، تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية ف ب م، مخرجها من بين الشفتين خاصة، لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط، ولا ينطلق اللسان إلا بالراء واللام والنون. وأما سائر الحروف فإنها ارتفعت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان. ليس للسان فيهن عمل اكثر من تحريك الطبقتين بهن،

[١] محمد بن محمد بن محمد الجزري، "شرح المقدمة الجزرية"، ٤١. و ٢٢٢ .

ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون، وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم. وأما مَخْرَج العين والحاء و (الهاء) والخاء والغين فالْحَلْق وأما الهمزة فَمَخْرَجُها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح.

- النص الثالث: قال الليث : قال الخليل: في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحا لها أحياناً ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة. والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تَخْرُجُ من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تُنسب إليه إلا الجَوْف. وكان يقول كثيرا : الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء. قال الخليل: فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هتة في الهاء، وقال مرة ههة لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض ثم الخاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاء في حيز واحد ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد، ثم الظاء والذال والثاء في حيّز واحد، ثم الراء واللام والنون في حيز واحد ثم الفاء والباء والميم في حيّز واحد، ثم الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه.
- النص الرابع: قال الليث : قال الخليل: فالعين والحاء والخاء والعين حلقية، لأن مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان، لأنَّ مَبْدَاهُما من اللهاة. والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم؛ أي مفرج الفم، والصاد والسين والزاي أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان والطاء والتاء والدال نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى والظاء والذال والثاء لثوية، الأن مَبْدَأها من اللثة. والراء واللام والنون ذلقية، لأن مَبْدَاهَا من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة شفهية لأن مبدأها من الشفة. والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيّز واحد، لأنها لا يتعلق بها شيء، فنسب كل حرف إلى مَدْرَجَتِه ومَوْضِعُه الذي يبدأ منه. وكان الخليل يُسمي الميم مطبقة؛ لأنها تطبق الفم إذا نطق بها، فهذه صورة الحروف التي ألفت منها العربية على الولاء، وهي تسعة وعشرون حرفاً ع ح هــ خ

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ ـ ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

غ ق ك، ج ش ض ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ، فهذه الحروف الصحاح، و، أ، ي، الهمزة فهذه تسعة وعشرون حرفا منها أبنية كلام العرب[١].

ترتيب مخارج الحروف عند الخليل على وفق هذه النصوص:

١- عدد حروف العربية في هذه الرواية ٢٩ حرفا، منها ٢٥ حروفا صحاحاً أقصاها مخرجا العين (تطابق رواية الأزهري عن الليث في التهذيب، وفيها وأقصى الحروف كلها العين. تهذيب اللغة، ٦٢/١ [٢].

٢- الهمزة تخرج من أقصى الحلق. وقال في موضع آخر : الهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه.

٣- العين: أدخل حرف من الحروف الصحاح في الحلق. ثم الحاء: لولا بحة في الحاء لأشبهت العين، لقرب مخرجها من العين. ثم الهاء: ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء، لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف (ع، ح، هــ) في حيز واحد، بعضها أرفع من بعض.

٤- الخاء، والغين: في حيّز واحد، كلهن حلقية مبدؤها من الحلق.

٥- القاف، والكاف: لهويتان مبدؤها من اللهاة، والكاف أرفع.

٦- الجيم والشين والضاد: في حيّز واحد. شجرية مبدؤها من شجر الفم؛ أي: مفرج الفم.

٧- الصاد والسين، والزاء: في حيّز واحد. أسلية، مبدؤها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان.

٨- الطاء والدال والتاء: في حيز واحد نطعية، مبدؤها من نطع الغار الأعلى.

٩- الظاء، الذال، الثاء: في حيّز واحد لثوية، مبدؤها من اللثة.

١٠- الراء، اللام النون: في حيز واحد ذلقية؛ مبدؤها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي اللسان.

١١- الفاء، والباء، والميم: في حيز واحد. شفوية؛ مبدؤها من الشفة.

١٢- الألف، والواو والياء: في حيّز واحد هوائية لا يتعلق بها شيء. أحرف جوف: سميت جوفا لأنها تخرج من الجوف.

فيكون عدد المخارج عند الخليل : ١١ مخرجاً

والحيز هو الموضع الذي يضم عددا من المخارج المتقاربة بحسب رواية الليث في مقدمة العين.

---

[١] الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت (١٧٥هــ)، "ترتيب كتاب العين"، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي تصحيح أسعد الطيب، انتشارات أسوة (منظمة الأوقاف والأمور الخيرية، ط، طهران، ١٤٣٥هــ، ٥٠/١-٥٤.

[٢] أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت (٣٧٠هــ)، "معجم تهذيب اللغة (مرتب) ترتيباً الفبائيا وفق الحروف الأصول"، تحقيق: د. رياض زكي قاسم دار المعرفة، ط١، بيروت ٢٠٠١م، ٦٢/١.

الرواية الثانية: رواية ليث عن الخليل نقلها أبو حيان في تذكرة النحاة: ذكر فيها: أن الحروف العربية ٢٨ أصلا ، يتفرع منها سبعة فصول، وأن الأصول تنقسم إلى حروف صحاح وعددها ٢٥ حرفا، يجمعها لقبان: مصمتة ، ومذلقة. فالمصمتة : عددها ١٩ حرفا خمسة حلقية، و ١٤ حرفا مخارجها من الفم مدرجها على ظهر اللسان من أصله إلى طرفه. فتكون كما يأتي:

١- خمسة حلقية على مدرجة للصوت واحدة من أقصى الحلق إلى أدناه وهي: (الهمزة) ، والهاء ، والحاء، والعين والخاء .

٢- خمسة شواخص: الظاء ، والضاد، والصاد، والطاء، والقاف.

٣- تسعة منخفضة، وهي: الكاف والجيم والسين والزاي، والشين، والدال والتاء، والذال، والثاء .

٤- أما الحروف المذلقة فإنها ستة أحرف في حيزين، أحدهما: حيز الفاء، وفيه ثلاثة أحرف الفاء، والباء، والميم. مخارجها من مدرجة واحدة لصوت بين الشفتين ، لا عمل للسان في شيء منها.

٥- والحيّز الآخر: حيز اللام، فيه ثلاثة أحرف الراء، واللام والنون مخارجها من مدرجة واحدة من أسلة اللسان وبين مقدم الغار الأعلى. في هذه الرواية ذكرت خمسة وعشرون حرفا مع حروف العلة فيكون المجموع ٢٨ حرفا .

الرواية الثالثة: رواية النضر بن شميل عن الخليل، وقد نقلها أبو حيان عن كتاب لأبي أسامة جنادة بن محمد الهروي من علماء اللغة (ت (٣٩٩هـ) ذكر فيه مخارج الحروف :

١- أقصى الحروف كلها: العين، وأرفع منها الحاء، ثم الهاء، فهذه الثلاثة في حيز يبدل بعضها ببعض.

٢- ثم الهمزة والغين والخاء: فهذه الثلاثة في حيز واحد، ينوب بعضها من بعض، في كلمة، وتسمى حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق.

٣- ثم تليها القاف، والكاف: وهما لهويتان، لأن مبدأها من اللهاة، إلا أن مخرج القاف من فوق الحنك، ومجرى الكاف من أسفله، والانفراد كل واحد منهما قل ما يقع البدل فيهما.

٤- ثم الشين، والجيم والياء: شجرية؛ لأن مبدأها من الشجر، ومجراها وسط اللسان، ووسط الحنك

٥- ثم الضاد: وهي حافية، لأنها من حافة اللسان، وما يليها من الأضراس.

٦- ثم الصاد والسين، والزاي أسلية: لأن مبدأها من أسلة اللسان وهو مستدق طرفه.

٧- ثم الطاء والدال والتاء: نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى ومجراها من طرف اللسان وأصول الثنايا. وقد تقوم في الكلمة بعضها مقام بعض.

٨- ثم الظاء، والذال والثاء: لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة ومجراها من طرف اللسان وأطراف الثنايا العلا.

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ ـ ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

٩- ثم الفاء : وهو فموي، لأن مخرجها من الفم بين الثنايا العليا، والشفة السفلى، ولانحيازها إلى حيز إلقاء بالمجاورة يبدل عنها.

١٠- ثم، الراء، واللام والنون: ذلق، والواحد أذلق؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو كذلق السنان، وذلق كل شيء تحديد طرفه، وهذه الحروف يجمعها الذلق، ويفرقها المنطق؛ لأن مجرى اللام من حافات اللسان، أما الراء فمنحرفة من مخرج النون إلى اللام، لمزية دموجها في ظهر اللسان عند الكلام، واقرب مخارجها يبدل بعضها من بعض.

فهذه مخارج ٢٤ حرفاً تلحظ في هذه الرواية التي يبدو أنها الأقدم من بين الروايات، فالنضر من السابقين في صحبة الخليل:

١- لم يذكر عدد الحروف .

٢- ذكر الياء المتحركة ضمن الحروف الشجرية، فهي بمنزلة الحروف الصحاح.

٣- فصل الضاد في مخرج مستقل، كما فعل سيبويه.

٤- فصل مخرج الفاء عن حروف الشفة.

الرواية الرابعة: رواية الأخفش عن الخليل، ويبدو أن هذه آخر الروايات زماناً في تسلسلها التاريخي ؛ لأنها أقرب إلى ما ذكره سيبويه في المخارج في الكتاب الذي ألفه في علم الخليل، وفيها سأل الأخفش الخليل عن حروف المعجم وعن أحيازها ومجاريها في الفم، فقال:

أما الحروف العربية ٢٨ أصلا، ولها ستة عشر حيزا، فمنها ما اتفق مبدؤها واختلف مجراها، مثل: الجيم مع الياء، والواو مع الياء، والألف مع الهاء، أما مخارج الحروف فقد ذكرها كما يأتي:

١- الياء، والواو، والألف من الجوف سميت جوفا، وللينها وامتداد الصوت فيها سميت حروف المد واللين.. مع اختلاف مجاريها وتباين مباديها على أن لكل حيز منها متدرجا على مقدار مجاريها ومتبدلا من مدانيه ومواتيه.

٢- فمن ذلك بدل الهمزة والهاء ، والحاء والعين، في قولهم: سدا، وسده، وسدح، بمعنى: سدع.

٣- ثم الغين والخاء: ولها من الحلق المدرجة التالية لقربها من منفذها وفيها بدلان... ويظهرون تنوين المنون مع هذه الستة على مبلغ ظهورها من مخارجها في مدارجها[١].

٤- ثم القاف من فوق اللسان: مبدؤه، وعلى فويق الحنك مجراه.. ثم تكون الكاف من أسفله حتى يدنو من محله.

٥- ثم الشين: وله من وسط اللسان شداه، ومن بين الحنك متسداه.

[١] وذلك أن النون الساكنة والتنوين إذا أنها بعد حروف الحلق فحكمها الإظهار.

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ ـ ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

٦- ثم الجيم والياء[١]: "وهما من مبدئه ويعارضانه في مجراه، وينوب أحدهما ٢٧ مناب الآخر في مواضعهما"[٢].

٧- ثم يعارضها لفظ الضاد، معارضة الأضداد من حافة المنباس، وما يليها من الأضراس وهما مع اختلافهما في الجريان بدلان مختلفان؛ لأن بعض الناس يخرجها من الشدق الأيمن وبعضهم يخرجها من الشدق الأيسر.

٨- ثم من حروف اللسان إلى منتهاه مبدأ اللام، وهو من البدل والجريان في حيز التمام، من الحنك الأعلى والشبك المثنى معارضا لأصول الثنايا والرباعيات، مشاركا لبعضها في الانحراف.

٩- ثم النون المتحركة ولها بدل الكفاف لحق القرب والتحرك والانحراف ومعنى الكفاف أن لا يدغم في النون المتحركة غير اللام، فكأنه لا فضل فيه لغيره وهي مشربة بغنة، ومخرج هذه النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا، وأقرب الحروف منها اللام، كما أقرب الحروف من الياء الجيم.

١٠- ثم الراء بينهما (أي: بين اللام والنون)، وهو أدمج من النون في العكد لانحرافه إلى اللام كالمستعكد.

١١-ثم الصاد والسين والزاي اولها من وسط اللسان شباته، ومن فويق الثنايا سراته.

١٢-ثم الطاء والدال والتاء، من طرف اللسان وأطراف الثنايا.

١٣-ثم الظاء ، والذال، والثاء: مما بين طرف اللسان، وأطراف الثنايا.

١٤-ثم الفاء: من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا.

١٥-ثم الباء، والميم، والواو: من بين الشفتين.

١٦-ثم النون: المخفية من الخياشيم.

انتهت الرواية المنقولة من الأخفش عن الخليل. ويظهر بشكل جلي أن هذه الروايات قد نقلت عن الخليل في مراحل مختلفة من حياته، فهو كان يستعمل المذهب التجريبي، وكلما تقدم في السن كانت نتائجه أكثر نضجاً ..

وأن آخرها هي رواية الأخفش، فهي الأكثر تفصيلا، وقد بلغ عدد المخارج فيها ١٦ مخرجا، مطابقة لعدد المخارج في رواية سيبويه. ونلحظ فيها:

---

[١] أي الياء اللينة المتحركة نحو يوم، وليست الياء المدية الساكنة التي من حروف الجوف فنخرجها أعمق بكثير، ومجراها القول في الهواء.

[٢] لا أدري ما يقصد في إنابة حرفي الجيم والياء أحدهما عن الآخر، إذ لم أعثر على حالة إبدال بينهما، لكنه ربما يشير إلى لهجة المجعية التي تتمثل بإبدال الياء جيما، وهناك لهجة ما زالت في جنوب العراق ودول الخليج العربي تبدل الجيم ياء فيقال مثلا دياي، بدلا من (دجاج).

١- عدد الحروف ٢٨ حرفا تشبه رواية نقلها الأزهري عن غير الليث بن المظفر، عن الخليل قال : الحروف التي بني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً لكل حرف منها صرف وجرس، أما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف، وأما الصرف فهو حركة الحرف. قال: والحروف الثمانية والعشرون على نحوين معتل وصحيح، فالمعتل منها ثلاثة أحرف الهمزة والياء والواو. التهذيب، ١/ ٦٤) ، لم يذكر الألف فهي ساكنة أبداً، فجميع الحروف تتحمل الحركة، فتظهر مرة ساكنة ومرة متحركة عدا الألف.

٢- هنا يقسم الخليل الحروف الصحاح على حروف مزلقة وحروف مصمتة جعل هذا التصنيف مختصاً بالحروف الصحاح، بينما نجد أن ابن دريد جعل هذا التصنيف عاماً.

٣- ذكر مخرج حروف المد والعلة وهو الجوف، وهذا ما أخذه علماء التجويد فيما بعد، إذ جعلوا الجوف أول المخارج.

٤- جعل للحلق مخرجين مخرج الأحرف الهمزة والهاء والحاء والعين، وإنما جعلها في مخرج واحد لكثرة الإبدال والتعاقب فيما بينهما، ومخرجاً لحرفين الغين والخاء، وذكر الضابطة لتعيين حروف الحلق هو إظهار النون الساكنة إذا أتت قبلها. ثم إن سيبويه بعد ذلك جعل الحلق ثلاثة مخارج.

٥- ذكر اقتراب الحروف في المخرج وافتراقها في مجرى الهواء، وربما هذا الذي عناه بالمدرج في مقدمة العين، ومن ذلك القاف والكاف المتقاربان في المخرج، فهما يصدران من اللهاة، لكنهما يختلفان في مجرى الهواء، وذلك أن القاف من حروف الاستعلاء، بينما الكاف من حروف الاستفال.

٦- ذكر الشين في مخرج منفصل، لكنه قريب جدا من مخرج الجيم والياء اللذين جعلهما في مخرج واحد.

٧- فصل مخرج الحرف الساكن عنه إذا كان متحركا، كما فعل في الياء المتحركة جعلها مع الجيم، تخرج من شجر الفم، بينما الياء الساكنة سبق أن ذكرها مع حروف الجوف لأنها من حروف المد التي يجب أن تكون ساكنة. وكذلك الواو المتحركة من حروف الشفة بينما الساكنة تخرج من الجوف، والنون المتحركة من اللسان بينما الساكنة تخرج من الخياشيم.

٨- ذكر حروف التلق: اللام، والراء والنون كل في مخرج على حدة. وهذا مطابق لرواية سيبويه في باب الإدغام، بينما نجده في رواية الليث قد جمعها في مخرج واحد في مقدمة كتاب العين.

٩- ذكر الضاد في مخرج مستقل، بينما في مقدمة العين جعلها من الحروف الشجرية.

١٠- ذكر الفاء في مخرج مستقل هو الشفة السفلى والثنايا العليا، وهذا ما فعل سيبويه) في رواية الأزهري عن الليث وعن غيره جعل الفاء من حروف الشفة، قال: فأما المذلقة فإنها ستة أحرف

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ٩٣٢ ـ ٩٥٠
ISSN: 2222-6583

في حيزين: أحدهما حيّز الفاء، فيه ثلاثة أحرف كما ترى ف، ب، م، مخارجها من مدرجة واحدة، لصوت بين الشفتين، لا عمل للسان في شيء منها[١].

وإذا حاولنا ترتيب هذه الروايات بحسب مراحلها التاريخية من الأقدم إلى الأحدث، فالأقوى والأرجح أن رواية الليث التي نقلها أبو حيان هي الأقدم مع أنها لا تتعارض مع رواية الليث في مقدمة العين ويبدو أن رواية النضر بن شميل وهو من أقدم أصحاب الخليل أحدث منها، إلا أن رواية مقدمة العين أحدث منها .

ويبدو أن رواية الأخفش وهو صحب الخليل ثم لازم تلميذه سيبويه؛ هي

آخر الروايات، مما يدل على أنه صحبه في مرحلة متأخرة من عمر الخليل، ورواية الأخفش تكشف عن وصول علم الخليل إلى قمة النضج العلمي، فلا شك أن ما ذكره سيبويه في كتابه عن مخارج الحروف هي بعينها هذه الرواية. ويؤكد هذا ما نورده في الرواية الآتية:

الرواية الخامسة: وهي رواية المبرد عن الخليل ونقلها الصاحب بن عباد(ت ٣٨٥ه)ــ رحمه الله في مقدمة كتاب المحيط، قال:

"فلم ابتدأ الخليل بالعين؛ وقد قال سيبويه وجماعة من النحويين: الحروف العربية ستة عشر مخرجاً؛ فأقصاها مخرجاً(الهمزة والهاء) ومن وسط الحلق العين والحاء، وأدناها (الغين والخاء)؟

فقد قرأت لشيخنا أبي العباس المبرد رحمه الله ما أحكيه، قال: الذي ثبت عندنا عن الخليل أنه قال: مخارج حروف الحلق ثلاثة فالأول مخرج الهمزة والهاء، والثاني مخرج العين والحاء، والثالث مخرج الغين والخاء، فإن كان تقديمه العين من أجل أنها توسطت المخرجين ولحقت بالطرفين فهو حسن، وإلا فلا معنى لإيثار تقديم العين، هذا آخر ما قاله[٢].

الاستنتاجات

١- أن الخليل باستعماله المنهج التجريبي كان يطور آراءه ويغيرها بحسب المعطيات الجديدة لتجاربه العلمية.

٢- أن الليث سمع روايتين من الخليل في شأن مخارج الأصوات هي الأقدم من رواية الأخفش عن الخليل والتي اعتمدها سيبويه في كتابه فيما بعد.

٣- رواية الليث في مقدمة العين أحدث من روايته في التذكرة. لكن لا نستطيع من الناحية التاريخية الترجيح بين روايتي النضر والليث، كما هو الحال بينهما وبين الأخفش ؛ فكلاهما أقدم في صحبته

[١] معجم تهذيب اللغة (مرتب) ترتيباً الفبائيا وفق الحروف الأصول لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت (٣٧٠هــ)، تحقيق: د. رياض زكي قاسم دار المعرفة، ط١، بيروت ٢٠٠١م، ١/١٤.

[٢] المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (ت (٣٨٥هــ)، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين مطبعة المعارف، ط١، بغداد، ١٩٧٥م. ١/٥١.

من الأخفش، لكن من السياق يمكن ترجيح أن رواية النضر أحدث من رواية الليث، يظهر من عمق نظر الخليل في مخارج الأصوات، انه نابع من نضج في التفكير العلمي بما يوحي أنه ذكرها بعد تجارب طويلة أكثر تطورا من المرحلة الأولى التي كانت في ٤ رواية الليث. فالخليل ذكر تفصيلا أكثر في تحديد المخرج؛ إذ فصل حرف الفاء من حروف الشفة وجعل له مخرجا مستقلا به وحده كما هو الحال عند سيبويه والمحدثين أيضاً، وكذا مع حرف الضاد، إذ فصله من مخرج الجيم والشين أي شجر الفم، وجعل له مخرجا خاصا به وحده. وهذا إنما يكشف عن وصول نتائج العمل التجريبي عند الخليل إلى ذروتها؛ لأنها تكاد تطابق النتائج المختبرية للأجهزة الحديثة في العصر التكنولوجي الحاضر.

٤- أن رواية الأخفش هي الأحدث، ويبدو أنه سمعها في أخريات عمر الخليل بعد أن بلغ قمة النضج العلمي والمعرفي.

٥- أن سيبويه سمع من الخليل الرواية الأخيرة واعتمدها في كتابه وهذا هو المنهج العلمي الصحيح . لكنها لم تخل من لمساته وإضافة بعض التعديلات.

٦- إذا كان اعتماد سيبويه على الرواية الأخيرة في عدد المخارج، لماذا لم يعتمدها في عدد الحروف؟ وهل عدل الخليل في عدد الحروف أخيراً من ٢٩ إلى ٢٨ حرفا ؟ إلا إن الخليل إذا كان قد عد الألف والهمزة حرفا واحداً، ربما لأنه ينظر إلى الألف: الحرف في حالة السكون، والهمزة في حالة الحركة، فأحيانا تأتي الهمزة نفسها في حالة سكون في المبنى، نحو: مأدبة، أو حالة الجزم في: لم يقرأ، أو في السكون العارض للوقوف، في: هل من شيء؟ إذاً فالهمزة تأتي في حالة السكون وحالة الحركة، كبقية الحروف، أما الألف فله وضع خاص لا يأتي بغير حالة السكون، فإذا حكمنا على الرواية من ناحية النضج والارتقاء في المنهج التجريبي على ما وصلت إليه في تحديد مخارج الحروف، فكيف نطبق الحكم نفسه على ما تضمنته الرواية نفسها في عدد الحروف؟ هذا بحاجة إلى مزيد من البحث للتأكد، هل ذكر عدد الحروف في المجلس نفسه الذي ذكر فيه عدد المخارج، مع أن الرواية توحي بذلك، ولكن من العسير الرجوع الى الرواية الأصلية؛ لأن الكتاب الذي نقلت عنه الرواية أي كتاب جنادة الهروي مفقود أصلا ولو كان الرأي بعدد الحروف هو ٢٨ هو الرأي الأخير والأنضج للخليل، لكان سيبويه أخذ به كما أخذ بعدد مخارج الحروف، لأن الإختلاف في عدد حروف العربية إنما تأتى من المنهج الذي سار عليه العالم، فالخليل وهو إمام اللغة والعربية كانت نظرته شاملة لم ينظر من زاوية دون أخرى.

المصادر :

١- أبي اسحق الزجاجي، الجمل في النحو، الزجاجي تحقيق: علي توفيق الحمد، ٤٠٩، والجمل لأبي اسحق الزجاجي، تحقيق: محمد بن أبي شنب ٣١١.
٢- أبي البركات عبد الرحمن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، أسرار العربية تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، بيروت، ٢٠١٠م، ٢٠٧.
٣- أبي بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي (ت ٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت ١٩٨٥م.
٤- أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي، (ت٣٢١)،" جمهرة اللغة"، دار العلم للملايين، بيروت، المقدمة، ١/ ٤٥. (٢٠) الكافي، الشيخ الكليني (ت (٣٢٩)، ٨/١٨٢٤
٥- أبي بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)، "الكتاب لسيبويه" ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار التاريخ، بيروت.٣ / ٢٤٨
٦- أبي بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ)، "الكتاب لسيبويه"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٨٨م، ٢ / ٢٥٠.
٧- ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ٦٣.
٨- أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تذكرة النحاة، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، ٢٥-٢٩.
٩- ابي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥ه)،"المقتضب"، ١٩٢١.
١٠- ابي الفتح عثمان بن جني، ت٣٩٢ه، "سر صناعة الاعراب"، تحقيق حسن هنداوي، ٦٠، وما بعدها، وينظر : بحوث في علم أصوات العربية وتشكيلها،٤١ و ٤٢.
١١- أبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي (ت٣٩٩ هـ / ١٠٠٨م)، "الزهكال" ، كان لغويا نحويا، عظيم القدر شائع الذكر، قتله حاكم مصر ودفن في القاهرة.
١٢- أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، "معاني القرآن"، تحقيق، أحمد يوسف النجاتي – محمد علي النجار [ت ١٣٨٥ هـ]– عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى، ١/ ٣٦٨.
١٣- احمد بن عبد النور المالقي، ت٧٠٢ه، "رصف المباني في شرح حروف المعاني"، تحقيق: احمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٠٣ و ١٠٤.
١٤- أحمد قدور، "أصوات اللغة عند سيبويه"، ٣٣.
١٥- الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي تصحيح أسعد الطيب، انتشارات أسوة (منظمة الأوقاف والأمور الخيرية، ط، طهران، ١٤٣٥هـ، ٥٧/١.
١٦- ابن عصفور الإشبيلي (ت (٦٦٩هـ)، "الممتع الكبير في التصريف"، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون طه، بيروت ٢٠١٠م، ٤٢١.

١٧- أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، "معجم تهذيب اللغة (مرتب) ترتيباً الفبائيا وفق الحروف الأصول"، تحقيق: د. رياض زكي قاسم دار المعرفة، الطبعة الاولى، بيروت ٢٠٠١م، ١/٥٠٤٨و ٦٢/١.

١٨- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت (١٧٥هـ)، "ترتيب كتاب العين"، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي تصحيح أسعد الطيب، انتشارات أسوة (منظمة الأوقاف والأمور الخيرية، ط، طهران، ١٤٣٥هـ، ٥٠/١-٥٤.

١٩- الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمّيعيون أخبار الرضا عليه السلام، :، ٢/ ١٥٤ .

٢٠- الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ)، "المحيط في اللغة"، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين مطبعة المعارف، الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٧٥م، ٥١/١.

٢١- الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام والمشتهر بـ(فقه الرضا)، تحقيق مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام، الطبعة الاولى، شوال ١٤٠٦ ه. ق، ٢١٨

٢٢- ابن منظور،" لسان العرب" ، دار المعارف، القاهرة:١/ ١٧.

٢٣- إمام زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب في الفقه الشافعي، دار الكتاب الإسلامي ، ٤ / ٦٢.

٢٤- إميل بديع يعقوب، "المعجم المفصل في اللغويين العرب"، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى، بيروت ١٩٩٧م، ١/ ١٥٧ و ١٥٨.

٢٥- حميد الفتلي، "بحوث ودراسات في اللغة والنحو"، ١٥٩ و ١٦٠.

٢٦- سراج الدين الحموي، "اللباب في علوم الكتاب"، ١٦ / ١٦٥.

٢٧- عبد الهادي الفضلي، "الموجز في علم التجويد"، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩، ٣٥ و ٣٦.

٢٨- محمد الوادي، "أبحاث صواتية وصرافية في اللغة العربية"، دار كنوز المعرفة، الطبعة الاولى، عمان، ٢٠٢٠م، ٢١ و ٢٢ .

٢٩- محمد بن يعقوب الكليني، "الكافي"، الجزء الاول، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ت٣٢٩ه، ٨ / ١٨٢٣.

٣٠- محمد بن محمد بن محمد الجزري، "شرح المقدمة الجزرية"، ٤١. و ٢٢٢.